

إشكالية سوء التوافق الدراسي في برامج التأهيل المهني للمدرسين

The Problem Of Poor Academic Compatibility In Vocational Training Programs For Teachers

تاريخ القبول: 2018-03-18

تاريخ الإرسال: 2018-03-15

الدكتور: عبدالرزاق المجدوب

majdoubabdou@gmail.com

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين - مراكش - المغرب

الملخص:

تعيش المجتمعات العربية تحولات اجتماعية وثقافية جارفة تعصف بمؤسسات التنشئة الاجتماعية ، وتطرح إشكالات جديدة على مستوى الاندماج والتكيف الاجتماعيين للمتعلمين . كما تطرح أسئلة ملحة على المدرسة العمومية منها سؤال " التوافق الدراسي " . إن عدم التوافق الدراسي يعيق تحقيق غايات وأهداف التربية لكونه يتسبب في هدر الثروة والإمكانات المحدودة أصلا ، ويزري بمؤشرات التنمية إلى الحضيض لما يتسبب فيه من فشل دراسي وتسرب وهدر وإعاقة لنماء كفايات المتعلمين ، بالإضافة إلى مخاطر اجتماعية وانحرافات ثقافية أخرى تهدد مستويات الأمن المجتمعي .

ولتجيب المدرسة العمومية على سؤال " التوافق المدرسي " ، في إطار سيروية إصلاحها ، عليها إعداد المدرسات والمدرسين المؤهلين لذلك . فإلى أي حد استطاعت عدة تأهيل المدرسين بمراكز التكوين بالمغرب مثالا استيعاب هذه التحولات والتحديات ؟ وما هي الأدوار المنتظرة منها للحد من سوء التوافق الدراسي وتجنّب المجتمع مخاطره ، والمساهمة في الرفع من مؤشرات التنمية ؟

الكلمات المفتاحية: التوافق، التوافق الدراسي، مؤسسة التأهيل، سوء التوافق، المواكبة التربوية، عدة التأهيل.

Abstract :

Moroccan society is experiencing social and cultural transformations that are ravaging institutions of socialization and raising new issues in terms of integration, and, social adjustment. They also raise new questions in public schools, including the question of "special education", the lack of which prevents the achievement of the aims and objectives of education, causing the waste of wealth and limited resources. from the outset and dropping development indicators because of school failure, dropping out, and, difficulties in developing learners' skills, in addition to other social dangers, and, cultural deviations that threaten levels of community safety.

And for the public school to address the issue of "special education", as part of its reform process, it must prepare qualified teachers for it. To what extent has the teacher qualification system been able to integrate or absorb this fact? And what are the expected roles of this device for the harm reduction of the lack of adaptation and for the protection of society from the dangers of this lack of adaptation?

Key words: Morocco;social;culture,education;public schools.

مقدمة:

أصبح سوء "التوافق الدراسي" يشكل خطورة على المجتمعات العربية الحديثة ، وتحديا للمنظومات التربوية لكونه يتسبب في هدر الثروة والإمكانات المحدودة أصلا، ويعيق تحقيق غايات وأهداف التربية والتكوين، ويزري بمؤشرات التنمية إلى الحضيض لما يتسبب فيه من فشل دراسي ، وتسرب ، وهدر، وإعاقة لنماء كفايات المتعلمين ، ومخاطر اجتماعية ، وانحرافات ثقافية أخرى.

وبالنظر إلى فداحة الخسائر فإن منطق الأولويات يقتضي وضع استراتيجية عاجلة تشكل صلب المشروع التربوي العربي، وتحدد الاختيارات البيداغوجية . وفي هذا السياق ندرك المعنى العميق لعبارة الأستاذ محمد الدريج وهو بصدد التقديم لقضية الفشل الدراسي الذي هو نتيجة حتمية لسوء التوافق ، حين قال: " لو كان موضوع الفشل الدراسي والدعم التربوي الموضوع الوحيد لعلم التدريس برمته لكان كافيا ولاستغني به عن جميع المواضيع الأخرى ، لأنه يصيب نشاط المدرسين في عمقه النوعي " . 1

وانطلاقا من كون تكوين المدرسين وتأهيلهم المهني يقتضي النظر فيه وفق مقارنة شمولية تنأى عن حصره في منظور معرفي أو تقني، نرى أن أي تكوين لا ينبغي أن ينفصل عن التحولات الاجتماعية والثقافية التي تعصف بمؤسسات التنشئة الاجتماعية، وتطرح إشكالات جديدة ومتجددة على مستوى الاندماج والتكيف الاجتماعيين ، كما تطرح أسئلة حادة على المدرسة . من هنا فإن منظومة تكوين و تأهيل المدرسين تصبح بالضرورة معنية بهذه الأسئلة والإشكالات ، وعليها أن تهيء المدرسين لمواجهة والتصدي لآثارها السلبية ، ومن ذلك سؤال "سوء التوافق المدرسي".

فما هو التوافق المدرسي ؟ وما أهميته ؟ وما هي مظاهر سوء التوافق المدرسي؟ وما هي مخاطر تفشيه؟ وما مدى حضوره في العدة البيداغوجية لتكوين المدرسين في المغرب أمودجا؟ وما هي آليات تأهيل المدرسين للتصدي لآفة سوء التوافق الدراسي ، وتبني صيغ للمواكبة التربوية؟

1- التوافق والتوافق الدراسي:

"التوافق" هو: " الشعور النسبي بالرضا، والإشباع الناتج عن الحل الناجح لصراعات الفرد في محاولة للتوفيق بين رغباته، وظروفه المحيطة" 2 وهو في السياق المدرسي تعبير عن قدرة المتعلم على الانسجام والتناغم مع محيطه المدرسي وخلق الألفة المستمرة مع مكوناته، فهو مؤشر على الصحة النفسية إذ يشعر المتعلم بالسعادة مع نفسه والآخرين ، وهذا ما يؤهله ليكون " قادرا على مواجهة مطالب الحياة، وتكوين شخصية سوية" 3 . وعليه فإن من المهام ذات الأولوية للمدرسة هي "التربية على التوافق المدرسي" للحد من الآثار السلبية المترتبة عن غيابه ، وتأهيل المدرسين عن وعي وعلم ومهنية ليكونوا قادرين على الانخراط في كل أشكال "المواكبة التربوية".

يعد التوافق الدراسي مؤشرا واضحا على التوازن والصحة النفسية والقدرة على التكيف مع المحيط والمجتمع الدراسي ، وتنجم عنه آثار إيجابية أبرزها الاتجاه الإيجابي نحو المدرسة والحياة المدرسية بكل مكوناتها ، ومن ثم ارتفاع مستوى التحصيل الدراسي وتحقيق التفوق . ولذلك فإن " التربية والصحة النفسية تتفقان من حيث الهدف ، فكلاهما

يهدف إلى تنمية الفرد، وإحداث التكامل في شخصيته، والعمل على أن يصبح قادرا على التكيف مع الجماعة التي يعيش فيها. " 4

2- مظاهر ومخاطر

لقد كشفت مجموعة من الدراسات، ومنها التي قام بها البنك الدولي أن تلاميذ المدارس الابتدائية في العديد من دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا حققوا معدلات دنيا في القراءة على سبيل المثال. فتلاميذ القسم الرابع في المغرب مثلا حصلوا على الرتبة الأخيرة بين ثمانية وأربعين دولة مشاركة بمتوسط 310 نقطة على معدل 500 نقطة خلال دراسة أنجزت سنة 2011. 5

إن الشكوى من ضعف التحصيل الدراسي تطال عددا من المواد الأساسية والأداتية مثل اللغات والرياضيات والعلوم. وأصبح الحديث عن " سوء التوافق الدراسي " وكأنه القاعدة في المدرسة العمومية نظرا لهزلة النتائج إلى درجة أصبح فيها المتعلمون ينتقلون من مستوى لآخر دون أن يتحكموا في الحد الأدنى للكفايات الأساس في المواد الرئيسة. كما أن مظاهر سوء التوافق الدراسي تتفاقم سنة بعد أخرى، وتتخذ صورا خطيرة تجلت مؤخرا في ظاهرة التنكيل بالمدرسين وتعنيفهم جسديا داخل الأقسام تحت أعين (كامرات) الهواتف النقالة، دون ذكر تدهور قيم النزاهة وسيادة مظاهر عدم التوافق الشخصي والاجتماعي من قلق واضح واضطرابات نفسية متفشية، وعدم شعور معظم المتعلمين بالأمان والطمأنينة والرضا داخل أسوار المؤسسة التعليمية، وما يترتب عن ذلك كله من إحباط وتأزم. مع العلم أن الترابط قوي بين الرضا والتحصيل الدراسي من جهة والتوافق الدراسي من جهة ثانية. كل هذا يجري في سياق شبه قطعية بين المدرسة والأسرة، وتنصل هذه الأخيرة من مسؤوليتها في سوء التوافق الدراسي.

ودرءا لسوء الفهم نوه بضرورة التمييز بين التربية على التوافق الدراسي والتربية على المسابرة والطاعة العمياء، والانضباط غير المتوافق حوله. فمن مهام المدرسة الحديثة التربية على استقلالية الشخصية. كما أن التمرين على التكيف لا يلغي بالضرورة شخصية المتعلم. وهي معادلة صعبة لكنها ممكنة لأن الحاجة إلى التوافق شديدة لتجنب الآثار الكارثية لسوء التوافق الدراسي كما لا بد أن يتوافق طلب انضباط المتعلم للقواعد وحسن السلوك مع الإنصات لعلومه الداخلية واستشعار أزماته الخاصة، وتفهم حالاته، والضغط التي يتعرض لها، والتدخل بمنهجية علمية تم تكوين المدرسين عليها مسبقا في مؤسسة التكوين وفي برامج التكوين المستمر.

إن هذا الاهتمام بالصحة النفسية للمتعلمين لا بد أن يرافقه شيء من التخفيف من ذلك الاهتمام المفرط بالجوانب العقلية والمعرفية في العملية التعليمية التعلمية، والالتفات بنظرة متوازنة إلى أهمية الجوانب النفسية في شخصية المتعلم ومساهمتها في التحصيل الدراسي. كما أن البعد النفسي في العلاقة التربوية يتعزز ببعد اجتماعي وتواصلية تعكسه العلاقات الاجتماعية بين مكونات المدرسة (مدرس، زملاء، إدارة تربوية...). وكل اضطراب في شبكة العلاقات القيمة هذه يؤثر على سلوك المتعلمين وتوافقهم الدراسي.

يعد المدرسون في نظرنا من أكبر المساهمين في إحداث التوافق بين المتعلم وبيئته المدرسية .وقد ثبت بالملاحظة أن الانسجام بين المدرس والمتمدرس يعد عنصرا حاسما في ارتباط هذا الأخير بالمدرسة بمساعدته على التوافق مع محيطه وبيئته الأسرية. فكم من متعلم عانى من قهر البيئة الاجتماعية ، وقساوة البيئة الطبيعية (في الوسط القروي على الخصوص)، وارتبط بالمدرسة أيما ارتباط بفضل العلاقة الإيجابية مع المدرس.

3- رهانات تأهيل المدرسين

إن الإعداد الجيد للمدرسين في مؤسسات التأهيل المهني لابد أن يجعل من ضمن رهاناته خلق اتجاهات إيجابية نحو مهام خلق التوافق الدراسي لدى المتعلمين ، والانخراط الطوعي والإرادي في أشكال " المواكبة التربوية" ولا يكون ذلك إلا بإنماء كفايات أو قدرات لدى الأساتذة المتدربين للتربية على التوافق، وتخطيط وتدريب وتقويم صيغ للمواكبة التربوية انطلاقا من المهام الحيوية التي تنتظرهم في هذا المجال . وقبل صياغة مقترحات عملية في الموضوع للرفع من جودة تكوين المدرسين في مجال التصدي لسوء التوافق ، وتفعيل برامج المواكبة التربوية ، نعرض بعجالة على عدة تأهيل المدرسين المغربية للتعرف على مدى مساهمتها في تأهيل المدرسين وإنماء كفايات تجعلهم قادرين على مواجهة وضعيات سوء التوافق ، والانخراط في برامج المواكبة التربوية بفعالية .

تنطلق "الوثيقة الإطار" لعدة تأهيل الأساتذة بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين من تبني اختيار " مهنة التكوين" ، والإسهام في عملية " إنماء الكفايات المهنية للمدرس " 6 . وهو تصور يجد مبرراته في تطور وظائف المدرس، وتكيفها مع التحولات الكاسحة للعوامة ، وخلاصات البيداغوجيات الحديثة التي تجعل المدرس " وسيطا" بين المؤسسة التربوية والمجتمع ومصادر التعلم والمتعلمين ، كما تجعله "مؤطرا" للمشروع التربوي للمتعلم ، و" منظما" للأنشطة ، ولما بتقنيات التواصل والتنشيط ، ومتبنيا " المقاربات البيداغوجية المتمركزة حول المتعلم " .

حرصت عدة التأهيل المغربية على التلازم بين مفهوم المهنة والمقاربة بالكفايات ، ولتحديد هذه الأخيرة كان لابد من تعرف وتحديد مهام المدرس وأنشطته الصفية، وفي الحياة المدرسية عامة . وقد تحددت هذه " المرجعية المهنية " نظريا في ثلاثة أبعاد :

1- بعد القيم وغايات النظام التربوي المغربي

2- بعد التعليمات تخطيطا وتديرا وتقويما ودعمًا ومعالجة

3- بعد تطوير الممارسة المهنية

وإذا كان الانسجام النظري واضحا على مستوى منطوق العدة فإن واقع الممارسة المهنية يحتزها عادة في بعد واحد ووحيد وهو المتعلق ببعد التعليمات. ويعوز "الوثيقة الإطار" التدقيق والتفصيل في أبعاد المرجعية المهنية لتسهيل صياغتها على مستوى الكفايات المناسبة والضرورية . ولم يحض البعد العلائقي بين المدرس والمتعلم بالقسط الوافر لتفعيل القيم المنشودة ، وربط المتعلمين بالمدرسة ، وتحفيزهم ، وتوفير شروط التوافق المدرسي بأبعاده النفسية والسوسيو تربوية .

لقد تم حصر كفايات التكوين في أربع تتعلق بمجال تخطيط التعليمات ومجال تديرها ، ومجال تقويمها ودعمها ومعالجتها ، ومجال البحث التربوي التدخلي . والواقع أن هناك أولويات في تحديد الكفايات المهنية . وإذا كانت لوائح

كفايات المدرسين متعددة وطويلة فإنها لا تستغني في نظرنا عن مجالين رئيسيين متكاملين في الآن نفسه وهما : مجال التعليمات : تخطيطا وتديرا وتقويما وهو المجال التقليدي لعمل المدرسين ، ومجال المراقبة التربوية ، وهو المجال المغيب في تكوين المدرسين . ولا اعتبارات خاصة بوضعي تصور هندسة التكوين لعدة التأهيل في المراكز فقد تم تغافل المعطى السابق بالرغم من كل ما تشكو منه المنظومة من تسرب وهدر وفشل دراسي وما يترتب عن ذلك وغيره من آفات تضرب المشروع التربوي في الصميم . وهو ما أفصحت عنه التقارير التشخيصية ومنها تقرير المجلس الأعلى للتعليم سنة 2008 . وتقرير المنتدى الاقتصادي العالمي لسنة 2013، وتقرير اليونسكو لسنة 2014.

وباستحضار المهام والأدوار الجديدة للمدرسين وما تفرضه التحولات العارمة التي هزت كيان المدرسة العمومية ، وكذلك الحاجة الملحة لتفعيل وتنزيل القيم والغايات التربوية والاجتماعية للنظام التربوي ، وضرورة تزويد المدرسين بالأدوات والوسائل العلمية لمواجهة مشاكل الهدر والفشل الدراسي وسوء التوافق الدراسي التي تستشري يوما بعد يوم ويؤدي المجتمع ثمنا فادحا لها، فمن المنطقي صياغة كفاية أساس تتقاطع مع كل مجزئات التكوين وتتداخل معها لتلبي حاجة المدرس إلى موارد علمية ومهارات وقدرات للتصرف وحل المشكلات ومواجهة الوضعيات المتعلقة بسوء التوافق الدراسي، وتنمية قدرات مهنية للتدخل الفعال والمراقبة التربوية الواعية خلال التدريبات الميدانية معززة بالمراقبة من طرف المكونين والمؤطرين والمصاحبين . وبذلك تستجيب مؤسسة التكوين لمطالب وحاجات الواقع التربوي و المدرسي .

4- الوضعيات المهنية وواقع مؤسسة التدريب:

قدمت عدة تكوين المدرسين المغربية توزيعا وظيفيا للأدوار في إطار هذا التمهيد بين مؤسسة التكوين ومؤسسة التدريب . لكن مرحلة تجريب العدة وتقويمها أبان عن شروخ حقيقية في هذا التمهيد المفترض بسبب طبيعة الممارسات الصفية ، وهيمنة تصورات متقدمة عن طبيعة ومهام المدرسين . فما يزال واقع الممارسة في المؤسسة التعليمية العمومية متخلفا لم يستوعب بعد أن " المدرس (ة) الناجح(ة) في الوقت الحاضر لا يقتصر همه على تزويد التلميذ بالمعارف والمعلومات بل يعد نفسه مسؤولا كل المسؤولية على أن لمتعلميه القدرة على حسن التوافق الشخصي والاجتماعي ، ثم التوافق المدرسي إلى جانب عنايته بتحصيلهم العلمي والمعرفي .

لكن عندما يفتقد المتدرب هذه الرؤية فهو يتصرف وفق الممارسات السائدة والخبرات القديمة المحكومة بأعراف التربية التقليدية بأعطائها وعللها التي تحول دون إحداث توافق نفسي للمتعلمين ، مغلبا هذا الواقع المعزز بممارسات المرشدين والمؤطرين على الخلاصات العلمية للأنشطة التكوينية بمؤسسة التكوين في كثير من المواقف.

كما يكتشف المتدرب في مؤسسة التدريب ظواهر تنصادي مع صور غائرة تحتزنها ذاكرة طفولته ، وكأن مرور عقود من الزمن لم يغير من واقع حال المدرسة والثقافة التربوية للمدرسين التي تُفاقم سوء التوافق الدراسي ومن ذلك :

✓ توزيع المدرسين لأحكام قيمة جاهزة لتصنيف المتعلمين إذ لا يبذل معظم المدرسين مجهودا لفهم حاجات المتعلمين، ولا يمتلكون إجابات مقنعة لأسئلتهم. ولا يتساءلون من باب الفضول العلمي والمهني عن حالات عزلة كثير من المتعلمين وتوترهم وإهمالهم لواجباتهم ولا عن حالات الاضطراب والقلق الظاهرة ، ولا عن النتائج الهزيلة

للمتعلمين ، وكأنهم غير معنيين بذلك ، أو مستسلمين لهذا الواقع تحت ذرائع شتى منها ضيق الوقت وضعف الوسائل والاكتظاظ ، والحاجة للتكوين المستمر ، وتدهور المستوى الدراسي لعموم المتعلمين وكأنه أصبح قدرا . الخ ✓ إهمال عدة أسابيع من زمن التعلم تخصص عادة للتقويم والدعم والمعالجة (الدعم العام والدعم الخاص في الابتدائي) ، في حين أنها فرصة مواتية لتفعيل صيغ الدعم والمعالجة الممكنة وتوليف وإدماج التعلمات ، والحد من كثير من التعثرات وصعوبات التعلم ، وإزالة كل ما يعيق نماء الكفايات بسبب ضعف التحكم المهني في استراتيجيات الدعم والمعالجة ، وضعف الإحساس بأهمية وخطورة هذه الأنشطة في التحكم في الكفايات الأساس للمتعلمين.

✓ لا يتوفر عدد من المدرسين على أدوات وعدة بيداغوجية لعلاج التعثرات والتصدي للصعوبات التعليمية التي تفرزها التقويمات الدورية وأنشطة المراقبة المستمرة . وقد تكون نتائج التقويمات منذرة ومفصحة عن كثير من النتائج ، ولا يكون رد فعل المدرس ومجالس المؤسسة في مستوى التحديات والنتائج الكارثية المنتظرة . ويتم التغاضي عن هذا الواقع إما بتبريره عبر التنصل من المسؤولية أو بدعوى إنهاء المقررات أو بالنفخ في النقط أو استغلال المساءة في الساعات الإضافية !

✓ ضعف إشراك الآباء وهشاشة الصلة بينهم وبين المؤسسة التعليمية.

✓ يشاهد المتدرب في مؤسسة التدريب ممارسات تتهدد الصحة النفسية للمتعلمين من عنف بدني ولفظي ويسمع عبارات الإذلال والصراخ والتخويف والتهكم من المتعلمين ، أو التهديد بالضرب بعد انسحاب المتدربين . كما لا يتورع بعض المدرسين في إظهار هذه الميولات العدائية وبخاصة في السلك الابتدائي أمام المتدربين وكأنها "وسائل تربوية" خاصة لإكساب المتعلمين القيم والاتجاهات والعادات الصحية والصحيحة ، وليست عوامل تساعد على عدم التوافق الدراسي للمتعلم !

✓ تنجح مؤسسة التدريب في بصم المتدرب أكثر من مؤسسة التكوين لأن منطق التناوب مازال لم يُفعل بعد . تنتصر الأولى لمنطق الواقع ، وضرورة المسيرة وإعادة الإنتاج ، وبالتالي تأييد شروط سوء توافق المتعلمين ، في حين تعجز الثانية عن تعديل الاتجاهات والمواقف ، والتأسيس لثقافة تربوية تنشد التغيير ، وتكريس ممارسات مهنية جديدة.

5- عناصر للتطوير :

1-5 تجديد من منطق المهام

إن الرجوع إلى المهام التي يجب أن تسند للمدرسين ، والأنشطة المقترحة لفعل التعليم والتعلم ، وكذا الأدوار النفسية والاجتماعية للمدرس ومسؤوليته في الصحة النفسية للمتعلمين ، يؤكد بالملح ضرورة إعداد المدرس علميا ومهنيًا لمهام المواكبة التربوية ، وتأهيله للتدخل المناسب للحد من أضرار سوء التوافق التي تحتاح المدرسة العمومية ، واعتبار هذه المهمة مركزية في تكوينه وتأهيله المهني ، وفي تجديد الإطار المرجعي للتأهيل ، وبرنامج تدبير زمن التكوين في الأسلاك التعليمية الثلاثة ، والتصريح بها ضمن ما يسمى بـ " مجال التكوين العام " . وقد برز تغيب هذه المهمة

جليا على مستوى تحديد مرجعية الكفايات المهنية المعتمدة لتأهيل المدرسين الجدد في جميع الأسلاك ، إلا من إشارات وردت عفوا في سياقات مختلفة لكنها لا تفي بالغرض ،لأن التدخل العلمي الواعي والميداني ، والمواكبة المستمرة لعموم المتعلمين لخلق التوافق الدراسي ، ما يزال غير واضح في عدة التأهيل ، ولم تُعطه الأولوية بعد وكأنه من مهام أطراف أخرى أو محصور في مهام " التربية غير النظامية" ، وهو فهم محدود ليس إلا ، وإذا أدخلناه ضمن التكوين الأساس فإن التمهين ضروري في مرحلة التأهيل.

إن إهمال هذا الدور الحيوي في مهام المدرسين وعدم التركيز عليه في التكوين هو ما يفسر ردود الفعل تجاه تجربة " دفتر التتبع الفردي للتلميذ" ومصير هذا الدفتر ونتائجه. كما أن عددا من ممارسات المدرسين ترسخ ما يسمى ب"الإعاقة السوسيوثقافية" ⁷ التي تفسر فشل شرائح كثيرة من الأطفال بقصور استعداداتهم القبلية بفعل سوء ظروفهم الاجتماعية . زد على ذلك الأحكام غير الموضوعية على المتعلمين ومنهم متعلمو الوسط القروي. كما يسود غموض في التصورات المهنية حول هذا الوسط وخصوصياته بسبب الفقر في آليات التعامل العلمي والبيداغوجي مع صعوبات متعلميه ومشاكلهم النفسية، وكل ما يؤدي الى سوء التوافق الدراسي في هذا الوسط. والأدهى من ذلك أن المتدرب(ة) عموما يدخل مؤسسة التكوين ويتخرج دون أن تتزعزع قيمه التربوية التقليدية المتعارضة مع قيم المدرسة الحديثة وغاياتها وأهدافها مثلما تصورها" الميثاق الوطني للتربية والتكوين" ، والنسق القيمي الكوني الحديث . متخرجون يهددون التوافق الدراسي للمتعلمين أو يفاقمون سوء التوافق الدراسي بعقلياتهم وسلوكاتهم غير التربوية . وهم يسمعون في مؤسسة التدريب أحكام قيمة تلقى على عواهنها ، وممارسات مضادة للدينامية المتبينة لخطاب التحديث والإصلاح التربوي ولغايات التكوين والتأهيل.

5-2 الصحة النفسية للمتعلمين والمدرسين:

تنحصر مهمة مؤسسة التكوين إلى حد الآن على المنحى التقني للمهام التي تنظر المدرس دون مراعاة التكامل بين البيداغوجي والنفسي . في حين أن الإعداد العلمي والنفسي الملائم سيساعد علما تصدي لكل ظواهر سوء التوافق الدراسي التي تهدد كيان ووظائف المدرسة . فعندما يغيب التكوين في مجال الصحة النفسية يرتكب المدرسون أخطاء فادحة تؤدي بالمتعلمين نحو الفشل والتأخر الدراسي والإحباط ،ومن ثم التسرب والهدر المدرسيين، وبدل أن يصححوا ويعالجوا أعطاب التربية الأسرية يعمقون جراحات المتعلمين ويدفعون بهم خارج المدرسة. ولذلك ستبقى مؤسسة التكوين محدودة الأثر (في زمن التكوين المحدود أصلا) في تعديل الاتجاهات السلبية للمتعلمين نحو المهنة ونحو المتعلمين ، وتفشل بذلك في أن تصبح أداة تغيير وإصلاح داخل المنظومة .

إن الحديث عن الصحة النفسية للمدرسين والمتعلمين على حد سواء ما يزال غريبا على الخطاب والممارسة التربويين ،وليس من أولويات الفاعلين والمتدخلين في المدرسة العمومية المغربية ،وفي مؤسسات التكوين . وقد سجل الدكتور محمد الدريج ملاحظة وجيهة تتعلق بضعف الوعي بأهمية المقاربة السيكولوجية في مختلف مناحي الحياة وخاصة في التربية المدرسية ،وكذا غياب العناية بموضوع الإرشاد التربوي والتحصين النفسي والتربية الوالدية" ⁸ . ونؤكد

هذا الغياب في عدة تأهيل المدرسين وفي موضوعات التكوين المستمر، وهو ما يفسر العجز الواضح في التواصل وفهم المتعلمين وتشخيص حاجاتهم، ومساعدتهم لتجنب كل أشكال سوء التوافق.

إن المواكبة المدرسية برنامج مكثف في سياق الحياة المدرسية للمتعلمين داخل الفصول وخارجها في فضاءات المدرسة الابتدائية والثانوية. ولا تقتصر المواكبة على فئات بعينها كما هو الاعتقاد السائد. فالمواكبة الفعالة والمجدية " تهدف إلى التكفل البيداغوجي بجميع الأطفال ومواكبتهم نفسيا واجتماعيا وتربويا بمن فيهم من يعاني من مشكلات نفسية واجتماعية، وصعوبات في التعلم منذ البداية وإلى حين اندماجهم في الحياة العملية. " 9

لا يتوقف انخراط المدرس(ة) في برامج المواكبة التربوية الشاملة في نظرنا على تعليمات رسمية إن وجدت، كما لا يتوقف على مقدار كفاءة المدرس في طرق التدريس " بل هو يرتبط أساسا بمدى رضاه الوظيفي، ومدى اعتزازه المهني بعمله. فالعلاقة طردية بين الرضى وتحقيق الذات عند المدرس، وبين إيجابية التجربة المدرسية وغناها وحيويتها عند تلاميذه. وبالتالي فليس من الممكن.. توقع انخراط المدرس في أنشطة برامج الصحة النفسية إذا لم يجد هو قبلا توازنه النفسي وتحقيق ذاته في وضعه المهني. " 10

ولاستيعاب المتدربين لأدوارهم المستقبلية في مجال خلق شروط التوافق، والتدريب على التدخل للحد من الآثار السلبية لسوء التوافق الدراسي، لا بد لهم من مواكبة أو مصاحبة تربوية يتم فيها تعبئة ونقل القناعات والأفكار والحلول الخاصة بالتوافق الدراسي لينخرط المتدرب من زاوية المهمة التربوية، وزاوية المواطنة للمساهمة في الإصلاح التربوي في كل أشكال المواكبة.

لقد بدأت ظواهر سلبية عديدة تغزو المؤسسة التعليمية، تعبر عن تغييرات بنيوية في المجتمع تنبئ بإنتاج " نسق قيمي نفعي براغماتي توافقي يقوم على ميكانزمات التبرير الأخلاقي الانتهازي، والاستسلام للضغوط الاجتماعية. ويؤدي في الأخير إلى الفردانية السلبية والأناية والانتهازية والمصلحية الضيقة، والبحث عن الربح السريع بدون بذل أي مجهود، وبدون التفكير في العواقب المستقبلية. " 11. ومسؤولية المدرسة والمدرسين تاريخية للتصدي لغشاء القيم السلبية للعولمة، ولهما دور في ترسيخ القيم النبيلة التي حث عليها الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وأجمعت عليها القوى الحية في المجتمع. وذلك بتفعيل مدخل القيم في تكوين المدرسين والتربية على التوافق الدراسي والمساهمة في الحد من ظواهر سوء التوافق الدراسي عبر تملك آليات المواكبة التربوية.

خاتمة

إن تحديد منظومة التكوين وتأهيل المدرسين ما يزال في خطواته الأولى، وهو يخضع، كأى مشروع إصلاحى، للتقويم والتعديل المستمرين لإرساء يتوافق وطموحات الرؤية الاستراتيجية للإصلاح. لكن تطوير المشروع يفرض على أصحاب القرار استحضار التحولات الكاسحة، والتحديات التي تواجه المدرسة وفي مقدمتها الهدر المدرسي، وانتشار ظواهر الانحراف، وعجز المدرسة عن فرض قيمها، وعجزها أيضا عن الرفع من نسب التحصيل والتحكم في الكفايات الأساس المتدنية التي تكشف عنها الدراسات الوطنية والدولية كل حين، في مقابل ضعف جلي لدى المدرسين والخريجين الجدد من مراكز التكوين بسبب عدم التمكن من وسائل وآليات التصدي لظواهر سوء التوافق

الدراسي .وعليه فإن أي منهاج للتأهيل المهني لا يأخذ بعين الاعتبار هذه الأولويات إنما يعيد إنتاج الوضع القائم ،ويدفع بأجيال من الخريجين إلى معركة خاسرة وإلى تحديات لم يؤهلوا لمواجهتها ،ويفاقم ظواهر سوء التوافق الدراسي .

الهوامش:

1. محمد الدريج ، الفشل الدراسي وأساليب الدعم التربوي www.dafatir.com بتاريخ 07-07-2009.
2. مدحت عبد الحميد عبداللطيف ، الصحة النفسية والتفوق الدراسي، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1999، ص 82. وينظر معجم المصطلحات التربوية والنفسية ، إعداد حسن شحاتة وزينب النجار، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الأولى . 2003 صص 159، 160.
3. -عبدالسلام زهران ، الصحة النفسية والعلاج النفسي ،عالم الكتب ،القاهرة 2005. ص9.
4. مصطفى فهمي ، دراسات في سيكولوجية التكيف ، مكتبة الخانجي ، القاهرة . الطبعة الثالثة . 1995. ص 290.
5. جامعة الأخوين والمنظمة الأمريكية USAID ووزارة التربية الوطنية ، تقرير الورشة الدولية حول المقاربات الجديدة في تدريس القراءة بالعربية ،الرباط في 19-21 نونبر 204، ص6. كما أشار التقرير الأول للمجلس الأعلى للتعليم سابقا حول حالة المنظومة الوطنية للتربية والتكوين وأفاقها لسنة 2008 إلى استمرار ظاهرة الهدر المدرسي بنسب متزايدة ، ونسب التكرار المرتفعة . وأنه من أصل 100 (مائة) تلميذ (ة) مسجل بالسنة الأولى ابتدائي لا يحصل منهم على البكالوريا إلا 13 (ثلاثة عشر) تلميذا. وتقدر كلفة الانقطاع الدراسي وعدم التمدرس ب 2% من الناتج الداخلي الخام.
6. -وزارة التربية الوطنية، الوثيقة الإطار ،عدة تأهيل الأساتذة بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين ،الوحدة المركزية لتكوين الأطر ،الرباط ،يوليوز ،الرباط 2012. ص 7.
7. عبدالكريم غريب ، سوسيولوجيا المدرسة ، منشورات عالم التربية . مطبعة النجاح الجديدة البيضاء . سنة 2009 ص32.
8. - محمد الدريج ، التربية الوالدية والتحصين النفسي للتلاميذ ، مشروع برنامج الإصلاح السيكولوجي /الاخلاقي في المنظومة التربوية .موقع مجلة المعلم منتديات السبورة، 2014 almuallem.net .
9. المواكبة التربوية، نحو تأسيس نموذج / منظومة لتجويد التعلم، ومحاربة الهدر المدرسي " ، موقع المنتدى التربوي montadanet.com 2014 .وموقع www.taalmimnet.com
10. مصطفى حجازي ، الصحة النفسية ، منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة ،المركز الثقافي العربي .البيضاء . 2006 . صص 242، 243 .
11. محمد الشهب ، المدرسة والسلوك الانحرافي ، دار الثقافة .البيضاء . 2000 صص 154، 153.